# منائـــــــر
# البسطه العلمية

**(وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالْجِسْمِ)**

(البقرة : 247)

تأليف / د. حمزة آل فتحي

الطبعة الأولى

1432هـ 2011م

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## المُستهل

**الحمد لله تعالى، معلّمِ العلماء، وناصر الفقهاء، ومصدر كل علم وفتح وعز، وأصلي وسلم على محمد الأجل الأعز، من شرح الله صدره ونور علمه وفكره، وعلى آله وصحبه الأفذاذ الأنجاب، من وعوا حق الكتاب، وساروا على منارات الصواب، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم اللقاء والحساب.**

**أما بعـد...**

فاستوقفتني آية قرآنية جليلة، بفضل نعمة التدبر والاستذكار، في ذكر طالوت وداود عليه السلام في سورة البقرة، حين قال نبي بني إسرائيل لهم **(إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالْجِسْمِ). (البقرة :247)**

فشدتني كلمة **(بسطة)** ورأيت أنها كلمة مدح وعز وشرف، لابد لها لكل عالم عامل، وقائد فاضل، لاسيما من يضطلع بهموم الأمة ومشكلاتها وأشجانها.

فلم يؤته الله مجرد العلم فحسب رغم علوه وجماله، ولكن جعله علماً مبسوطاً وفقها منشوراً، وحكماً ممدوداً .

والبسطة في اللغة، أو من مد لولائها السعة والغزارة والبسطة في اللغة الفضيلة، فهو علم فضيل ومبسوط، وفي القرآن **(اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (الرعد : 26)**. أي يوسع رزقه على من يشاء.

وقال تعالى : **(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ)** (الشورى : 27).

أي يضبطه، فيوسعه على بعض، دون بعض، لتلا يحصل البغي والعدوان **(إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)** (الشورى : 27).

**والمقصد أن كلمة (البسطة) كلمة جذابة في الحياة العلمية، ويحتاج إليها كثير من العلماء العاملين، والدعاة المثابرين، لأنها علامة النبوغ، وبابة الصدارة، ورمز القيادة، ومفتاح الوصول والتأثير.**

ولهذا أحببت أن أذكر دلالات ومنارات لهذه البسطة العلمية، وأن حيازتها ليست كلمة تُدّعى، ولاشهادة تُنال وتكتسب، دون توفيق وجدو بذل ومعاركة.

وقد قال تعالى : **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ)** (البقرة : **63**).

**وقال ابن عطا الله السكندري : (من لم تكن له بداية محرقة، لم تكن له نهاية مشرقة).**

ولذلك الله تعالى هو العليم الحكيم، وبيده مفاتيح العلم والرحمة والنور والفرج، ولكنه أمر عباده بالسعي والعمل والدأب، لكي يبلغوا معالي الأمور، ومحاسن الأشياء.

قال **(فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ)** (التوبه : **122**).

وهذا النفر متضمن للسفر وحصول التعب، والشدة، والمعاناه كما لاقاه سلفنا الصالح، والفضلاء من بعدهم، لاقوا شدةَ وعنتاً، فصبروا واحتسبوا، حتى أصابوا ما أصابوا من الخير والسعة والنور والبسطة، وخلفوا لنا التراث الثمين، والكنوز الباهرة، والدرر الفاخرة، التي تعجز الجامعات حالياً عن مضاهاتها، أو تحقيق بعضها تحقيقاً علمياً فريداً، ولا حول ولاقوة إلا بالله.

هذه المنائر دعوة للعلماء والطلاب أن يحسّنوا من جدهم، ويرتقوا بهممهم وعزائمهم، وان لا يكتفوا بالقليل في ذلك.

لأن الإنسان لايزال يتعلم حتى الممات، **كما قال أحمد رحمه الله (مع المحبرة إلى المقبرة).**

**وقال سفيان الثورى رحمه الله (لانزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا).**

**وقال ابن المبارك رحمه الله : (لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل).**

فهلموا إلى تلك المنائر لنقفوَ أسبابها، ونأخذ بقوائمها، لنشد على ظهورنا، ونرتقي بعزائمنا، والله الموفق. والمسئول أن يسدد الخطى، ويبارك في الجهود، ويصلح النيات، إن ولي ذلك والقادر عليه.

**ليلة الأحد 19/ رجب 1430**

**2009/7/12م.**

## طريق الوصول

**البسطة العلمية أمنية كل باحث، حريص على العلم، ومحب للمعرفة، وساعٍ إلى الله، يقرأ ويدقق، ويسأل وينقب، ولا يزال متصلاً بالكتب يشتريها، ويذوب في حبها والحفاظ عليها، ومن عرف قدر العلم، هان عنده بذله، وماله وجده وجهاده !**

بل أيقن أن العلم يحتاج إلى المزيد من الوقت والبذل والسخاء والحزم والتضحية، لأنه باب إلى السعادة، وصفاء الروح، وكما قيل :

**فلو قد ذقت من حلواه طعماً لآثرت التعلم واجتهدتا.**

ولكن هذه البسطة تنال بتوفيق الباري المنان **(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) (النحل: 53)** وبالسعي الشديد، والهمة المتطلعة، والطلب المستديم، والقربة الرقيقة، والدعاء الملح، وايثار العلم على المحاب واللذائذ، والرسوخ الطلبي، وأخواتها من الأسباب الموصلة، والطرق المنتهية إلى البسطة العلمية بإذن الله تعالى :

ومن لم يتشبث بمثل هذه الأسباب والطرق، قلّ علمه، وهان فقهه، ورقت أحاديثه، وبات شيخاً بلا وسام، ومدعياً بلا إثبات، وناطقاً بلا حجة، ومتشبعاً بما لم يعطَ **وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم : (المتشبّع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) أخرجاه.**

# منائر البسطة العلمية

الشخصية المبسوطة علمياً، تستبين عليها منائر وضاءة وتشرق عليها دلالات وبراهين، لا يمكن تجاهلها، وهي تعكس حالة تمكنية وإتقانية لدى ذلك الإنسان المبرّزِ، وسماع جمل محدوده من المتحدث المعني، تبين لك بوضوح مدى أهليته واتساعه وحذقه وبروزه، وإلا كان النقاد والشهود غير واعين ولا عقلاء، **وقد قال صلى الله عليه وسلم.. (أنتم شهود الله في أرضه).**

ولا يمكن لأحد أن يدعي العلم بلا تحدث أو نطق أو تدريس أو إفتاء، أو توقيع وتأليف وتبيين، لأن العلم بذل وإعطاء، وليس بخلاً واحتباساً، كما قال الله : **(لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران : 187).**

**والعملية التبيينية، كاشقه لكي متمكن أو دعيّ، ينزل في غير رحله، أو يرتقي غير مرتقاه، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، ومن تواضع لله رفعه، والاعتراف بالحق فضيلة، وقول لا أدري نصف العلم، ومن تركها أصيبت مَقاتله...!!**

**وأما المنائر فكالتالي :**

### (1) التدفق العلمي :

لما كانت البسطة اتساعاً وغزارة، سعيها جد ومهارة، كانت النتيجة طبيعية، توحي بالدفق الغزير، والنشر الباذخ، والإفتاء الدائم، وتجاوز المعضلات، وحل العويصات، وهذا هو عين التمكن المورث لانبساط علمي، وغزارة فقهية وسيعة.

وهذا التدفق إما أن يكون مقصوراً على علم واحد كالتفسير مثلاً وقضايا القرآن وموضوعاته، وإما أن يكون موسوعياً شاملاً لكل الفنون الشرعية.

والأقرب والأحسن أن يكون شاملاً متفنناً لسائر الفنون الشرعية، النابعة من الوحيين الكريمين وصوره كالتالي :

**(1) وعي معاني القرآن والسنه ودلالاتها، والاطلاع على المعاني والأسرار.**

**(2) إلمامه بأصول العلوم الشرعية ومراجعها وشروحاتها.**

**(3) حسن استنباطه واستخراجه للفوائد العلمية، والنكات الفقهية.**

**(4) فهمه لكلام الأئمة المحققين، ودايته بالمسائل الخلافية والإجماعيه بين الناس.**

**(5) مشاركاته في جميع المناشط العلمية والدعوية والتربوية.**

**(6) استطاعته على توظيف العلم الشرعي الموروث في استيعاب النوازل، والقضايا المستجدة والحديثة.**

**(7) انتشار بسمعته العلمية، ومجده الفقهي عبر الدروس والمحاضرات والمشاركات العلمية الطيارة.**

وهذا التدفق إنما تم له عبر تأسيس علمي راسخ، واطلاع فقهي متوهج، استطاع من خلاله أن ينشر فضاءه الدعوي على أماكن كثيرة، فأدى نعمة البلاغ، وأثابه الله حسن الصيت، وجمال الذكر كما قال تعالى : **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة : 11).**

وأي رفعة أعظم من رفعة العلم، والمتقلدة لتاج الشرف، ووسام العز والسلطنة، حيث يغرس الله في قلوب ناظريهم، الهيبة والإجلال والتوقير.

**كما قال بعضهم في إبراهيم النخعي رحمه الله :**

**(إنْ كنا لنهاب إبراهيم، أشد من هيبتنا الأمير)!!**

وهذه ثمرة من ثمرات العلم الخالص، والفقه البسيط المديد.

ومن عجائب العلم، أن تدفقه بالنشر والبلاغ، يزيد من اتساعه وبركته، لاسيما مع الإخلاص كما قالوا **(زكاة العلم بركته)**.

**وقال الاليبري :**

**يزيدُ بكثرةِ الانفاق منه        وينقصُ إنْ به كفاً شددتا**

فتخيل أن البسطة مورثة للتدفق المثمر، للتوسع والنضج والغزارة، وهذا شئ عجيب لا يفقهه إلا من ذاق حلاوة العلم، ومارس متون تدريسه وتبليغه. فعلى سبيل المثال كان الإمام ابن المبارك رحمه الله يتكلم في كل فن، وجمع الخير من أبوابه، **قال الحسن بن عيسى، قال: اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن حسين، ومحمد بن النضر فقالوا : تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا : العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه.**

**وقال ابن دفيق العيد في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (رأيت رجلاً العلوم كلها بين يديه، يأخذ مايريد، ويدع ما يريد).**

**(2) وعي الصواب :**

**قال تعالى : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) (الأنبياء : 79).**

والمعنى هنا بلوغ الصواب، وإدراكه، لأن البسطة اطلاع تام، وغربلة للمسائل، وفحص للاتجاهات، مما يعني الوقوف على كل المآخذ والأدلة، التي تستنتج بإذن الله، بعد التجرد والإصابة، والتوفيق لحسن الفهم والترجيح.

ولا يمكن لفقيه جزئي، تربى على مدرسة واحدة، أو درس اتجاها فريداً، أن يبلغ الحق، أو يعي الصواب، فضلاً عن أن يحوز مزاهر ذلك الحق وأفنانه.

**ولذلك الفقيه في مسائل شرعية يحتاج إلى عدة مقدمات منها :**

(1) **الاطلاع على سائر المذاهب الفقهية الأربعة**، مضافاً إليها ابن حزم في المحلي، وابن عبد البر في التمهيد وابن رشد في بداية المجتهد، وابن تيمية في الفتاوى وغيرهم من الأعلام المحققين.

**(2) فقه استدلالاتهم ومآخذهم البرهانية ومدى صحتها، وإفادتها للمعنى المراد.**

(3) **حذق القواعد والمقاصد الشرعية، وما يُسمى بفقه المآلات المستضيئة** بأنوار الشريعة وقبسات الوحي.

ولذلك كان أحسن الأئمة كلاماً في العلم المطلعون على سائر المذاهب، والجامعون لكل الفرق والأطياف، نحو النووي وابن الصلاح والعيني ابن حجر، وابن عبد البر وابن تيمية وابن القيم والطحاوي وابن رجب، وأشباههم من الأئمة الكبار، المحققين.

والصواب إنما يوعى بقفو مقدماته الدالة عل الدقة وحسن النظر والجمع والتناول، بحيث لا يعزب عن النظر شاذة ولا فاذة، لأن من حفظ وعرف، حجة على من لم يحفظ ويعرف.

ولا انتقائية أو نسبية توصل إلى الصواب في الغالب ! بل لا بد من البحث الشامل، والاستيعاب الطاغي، المورث للنظر الكامل والنتيجة المتأملة، لأن الناس متفاوتون في عقولهم ومعلوماتهم، ولابد من الأخذ من الجميع والإصغاء للكل.

**وقد قال أيوب بن أبي تميمة السختياني رحمه الله.**

**(لا يعرف الفقه، من لم يشم أنفه الخلاف).**

وكل مسألة خلافية، لا يمكن وعيها أو إدراكها عن طريق رأي أو مذهب واحد، فضلاً عن إدراك الحق فيها ! إذن فلابد من الاطلاع الشامل لكل الرؤى العلمية والفكرية.

**(3) المراقبة الروحية:**

:قال تعالى : **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر :28)**..فكل علم تورث الخشية، فإذا انضاف الله السعة والغزارة، ارتقى به الايمان، ورسخ اليقين، وتعززت معاني الخشية والخوف من الواحد الأحد كما قال عز وجل..

**(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) (الرحمن :46).**

فلا يبدي أو ينمي الا خيرا، ويحذر من توريط نفسه في فتوى جاهلة، أو توقيع رخيص، أو ممالأة مفضوحة، بل يصون نفسه ، ويحفظ علمه **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً)(الطلاق : 2)**

لأن زيادة العلم نور في القلب ، تورث الخشية والمهابة من الله تعالى :

قال عز وجل **(إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) (الاسراء : 107-109).**

وهكذا العلم الرباني، يفيض في النفس أنوار الروحانية والزهد والرغبة فيما عند الله، فتؤثر الحق على الهوى، وتطلب الآخرة على الأولى وتؤثر الهدى على الضلال، ولا يمكن له أن يتكلم بالباطل، أو يفتي بالجهالة.. حتى ولو قدموا له الأموال والاغراءات.

كما قال سليمان عليه السلام، لما وصلته هدايا بلقيس **(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) (النمل : 36).**

لولا المراقبة الداخلية، المصبوغة بعنفوان الإيمان، لما حصل هذا السخط من الفتنة الدنيوية وآثر العبد الصالح ما عند الله تعالى :

**(إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) (ص : 46).**

وهذه من أجل ثمرات العلم، أنه يورث في قلب صاحبه الخشية لله فيجعله عالماً صالحاً، متورعاً عن كثير من الشبهات والمخالفات لا يبيع علمه بعرض من الدنيا يسير، وقد ضرب الله لنا مثل علماء السوء في القرآن ، وكيف انتهى بهم الحال إلى المصير الأبأس، والمآب الأسوأ **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(الأعراف : 175-176).**

وفي البسطة العلمية مواعظ، ومواقظ لصاحبها، تحرك شجنه، وتفيض دمعه، وتسكن روحه، وتشعل حماسه، وتلهب من غيرته، ليقوم بهذا العلم خير قيام **(وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً) (النساء : 66-68).**

**(4) النظرة الشمولية :**

إذ إن العالم بالبسطة العلمية يتجاوز ظله، وحدود أفقه وسيره، ومكانه وزمانه، ويبيت واسع الأفق، عميق النظرة، شمولي الرؤية.

وهذه من فوائد العلم البسيط الممدود، الذي يغوص في بحار الكتب، ويصيد في شتى المعارف، ويلتقط درر الفوائد والنكات ولا يكاد يفوت شيئاً، دقيقاً أو جليلاً.

يحس أن كل فائدة ولو عزت عظيمة، وكل أثارة متينة، وكل لطيفة ضخمة، لأنها تشكل رؤيته السليمة وتقوي نظرته الواسعة، وتدفع يفهمه وإصابته للحق !!

وحينما ترد مسألة جديدة على العالم البسيط، تلقاه يقلبها من سائر الزوايا، ويتأملها من شتى الجهات، ويصرفها حسب الآراء والأفهام المختلفة.

ولا يحاكمها إلى طريقة، واحدة !!

ويعيش سرها وأبعادها، ومقدماتها وإيحاءاتها، وكل ما تنطوي عليه، والنظرة الشمولية تتكون من جراء التوسع القرائي، والانهماك المعرفي، الذي يتجاوز الحدود والقيود، ويتشبع بمعاني الكتاب والسنة، وفهم السلف، ومسالك الأئمة المحققين، ومنائر المتأخرين والمعاصرين.

بحيث يطالع للقريب والبعيد، ويأتي على القديم والجديد، حتى يتسع الذهن المعرفي، ويصبح فسيحاً طليقاً لا يعجزة مسألة ولا تعوزه قضية.

وهذا كان بارزاً في فقه الصحابه رضي الله عنهم كالخلفاء الأربعة، وأئمة التابعين.

**وها هو أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه كان بستعيذ بالله من معضلة لبس لها أبو الحسن علي رضي الله عنه، وهذه علامة السعة والدقة والحكمة، التي عرف بها علي رضى الله عنه.**

**وقد أشتهر عنه قوله :**

**دواؤك فيك ما تبصرُ وداؤك فيك وما تشعرُ**

**وتزعم أنك جِرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبرُ.**

**ومن ثمرات النظرة الشمولية للأشياء والمسائل مايلي :**

**1- إصابة الحق، والسلامة من الأخطاء.**

**2- الفحص الذهني المتميز.**

**3- الانشراح النفس البهيج.**

**4- الرؤية الموضوعية وإقناع المتابعين والمشاهدين.**

**5- تحقيق المصالح والمنافع، ودرء المفاسد والمضار.**

**6- تطبيق الشريعة، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان.**

**(5) طرح العصبية :**

قال تعالى : **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى) (ص : 26).**

والمقصود هنا التجرد للحق، أو القلب الصافي، أو القدسية الدليلية، وهذه آية البسطة العلمية الممتدة، إذ بها يتسع الأفق، ويتعاظم الفكر، وينزاح التعصب، ويُدرَك الخير في أماكن بعيدة وغريبة، لم تكن على البال..

فينتج عن ذلك محبة الحق والدليل، وقفو أبوابه وسبله، وطرح التعصب للشيوخ أو المذاهب والقبائل والبلدان ! وتبيت السيادة للدليل، وأنه حينما وجد، وباتت منارته فثم شرع الله، ومقصده، وغايته كما قال تعالى: **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة :111)**

وقال سبحانه:**(ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (الاحقاف:4).**

ومن لم تثمر بسطته العلمية وفقاهته الفكرية شيئاً من حب الحق والدليل، فلا خير في علمه ولا بركة له، لأنه إعلان بالجهل، واتباع للباطل، وتقديم للهوى والله يقول **(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) (الفرقان : 43).**

وقال سبحانه : **(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) (القصص: 50).**

والهدى يكمن في الأدلة والبراهين الشرعية، من استعصم بها قد فاز، ومن حاد عنها للمذهب، أو الشيخ والبلاد، ضل وخسر، والله المستعان.

ولذلك سعة العلم وغزارته علامة التنور، والتفهم والانفتاح، والوعي، وقلته علامة التحجر والضيق والتعصب، **ولذلك فإن له على صاحبه مضار عديدة، من أخطرها :**

**1- التعصب، وعدم الانصياع للأدلة الواضحات.**

**2- حرمان الصواب، حيث ضيق المساحه التفكيرية والمنهجية.**

**3- فقدان الوعي، لقلة أدلته ومعالمه.**

**4- التصدر قبل التمكن.**

**5- محاكمة المسائل والناس والقضايا إلى بضاعة قليلة، وعدة محدودة !!**

ولذلك لابد من السعي الحثيث، والجهد المتعاظم للتحصيل، وعدم رضا الإنسان بالمهين القليل، لأن الله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه: 114)** ولن يأتي أحد أكثر علماً، ولا أغزر حكمة من أنبياء الله ورسله، ومع ذلك أُمروا بالاستزادة من العلم، بل لم يؤمر سيدهم عليه الصلاة والسلام، بشئ يتزود منه كالعلم وحبه وطلبه، وهو القائل **(طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه وسنده حسن.**

وكلما ازداد المرء علماً، ازداد فقهاً، ونوراً وإيماناً واتساعاً لقبول الحق والآخرين، وتزلزلت من فوآده، أضغان العصبية والتفرد، وحب الانتصار والتعالي على الآخرين لأن تلك البسطة ستجعل منه الشخص المستكين المتواضع، وهو المنارة الخامسة..

## (6) التواضع الدائم :

قال تعالى : **(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) (الحجر : 88).**

ومن مقالات التراث السلفي المجيد، كلمة الإمام الشعبي رحمه الله، ذلك الامام المجتهد الواسع، البسيط الذي تجاوزت سعة الشرعية، حتى استقرت في الشعر وقال : **(ان من أقل علومه الشعر، ولو أراد ان ينشد شعراً شهراً، لفعل، وما كرر).**

له كلمة عجيبة يقول فيها : **(العلم ثلاثة أشبار، من دخل الشبر الأول تكبر، ومن دخل الشبر الثاني تواضع ومن دخل الشبر الثالث، علم أنه لا يعلم شيئاا).**

والمرحلة الأولى في الطلب، قد يتلبس المرء لباس الغرور والاستعلاء ما لم يقض عليها بلباس التقوى والخشية، بسبب قلة العلم، وفتنة الناس وانبهارهم، فإذا ما تجاوز تلك المرحلة، ولج في العمق وبدأ يتواضع وبتلاين، وإذا ضاعف جهده، وغاص لأعماق

المحيطات المعرفية، أدرك سعة العلم وبُعد غوره، فتواضع لله أتم التواضع، بل صرح بانه لم يعلم شيئاً، عرفاناً منه بسعة علم الله وأنه لم يؤت إلا القليل، كما قال تعالى : **(وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) (الاسراء :85).**

وفي قصة الخضر وموسى عليهما السلام كما في الصحيحين (فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ)

**وإنما تواضع ذوو البسطة العليمة للأسباب التالية :**

1) **إيمانهم بنعمة الله عليهم، وتقديرهم لسعة علم الله تعالى**، وأنه أحاط بكل شئ علما، وأحصى كل شئ عدداً وهو علام الغيوب، والعليم الحكيم، وعالم الغيب والشهادة، ويعلم ما في الأرحام، ويعلم ما تكن صدورهم، ويعلم السر وأخفى، هو عليم بذات الصدور، تبارك وتعالى وهو القائل : **(وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف : 76).**

2) **ارتقاء الحس الإيماني والأدبي لديهم بحيث أدركوا عظمة** هذا العلم وما يقذفه في النفوس، وأنه يجتمع مع الحب والرحمة ومكارم الاخلاق وينعدم مع الشدة والعنف ومساوئ الاخلاق.

3) **شكراناً منهم لله تعالى، على ما وضعه فيهم من منائر الحكمة**، ومعالم الهداية، حيث دفعهم على سائر الناس.

كما قال : **(وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ) (يوسف: 68)**

وقال:**(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ)(المجادلة:11)**

**وقد قال أيوب السختياني رحمه الله (ينبغي للعالم أن يذر التراب على رأسه تواضعاً لله).**

4) **لاشتمال العلم على هدايات الرحمة، وأعلام الرفق والمحبة،** التي تهذب النفوس وتقيم اعوجاجها، حيث أن دوران العلم إنما هو حول الكتاب والسنة، وهما منبع الرحمة، وموطن الأخلاق، التي تصلح الأنفس، وترقق القلوب، ولذلك قل أن ترى عالماً غليظاً، !! وعزَّ وعظم أنه ترى علماء سهلين متواضعين، والله المان بفضله وكرمه سبحانه وتعالى.

**(7) التأليف المتقن:**

قال تعالى : **(إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ) (القصص : 26)**

وهذا نتيجة طبيعية لبناء راسخ، واتساع ممتد، إذا ما قدر له المشاركة بالتأليف، فلا شك أن مشاركته تلك ستتسم بما يلي :

1) **سعة المكنون، وعمق المسطور.**

2) **الزاد العلمي المكتوب في تلكم المسائل المطروحة.**

3) **الاستيعاب، وعدم بخس الآخرين من المذاهب حقهم.**

4) **التنوع المعرفي.**

5) **الحرص على إصابة الحق، وعدم التعصب أو التحزب في جهة معينة.**

6) **الموضوعية، والتقليل من الإنشائيات الفارغة، أو عديمة الجدوى.**

**ولذلك نعتقد أن هذه التأليفات تمر عبر مراحل من التأسيس والبناء والإعداد، وكثرة المشاركة وعقد الدروس وتربية التلاميذ، إلى أن يشعر الإنسان بالحاجة الماسة للكتابة والتقييد للشرح والرد والإفتاء، والتبيان.**

وهذه مقدمات ضرورية للكتابة، أنه لابد من التمكن، وسعة الاطلاع والمراس العلمي، ولذلك من استعجل التأليف ابتُلي بالتخريف، ومن استأخر، أثمر ومهر، وقد قال الأئمة قبلنا (**من صف من فقد استُهدف**).

وهو (**كالذي يجعل عقله في طبق يعرضه على الناس**) وهذه المقدمات هي مؤشر على الإتقان والتميز قال صلى الله عليه وسلم كما عند البيهقي في الشعب بسند جيد (**إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**)

ومهم وأكيد أن يتعلم العلماء والطلاب، أن للتأليف شروطاً وعدة، لابد للداخل فيه من تعلمها ووعيها، وخليق بمن ملكها ،أن يبادر إليها ليكتب بصمته، ويرسم خطته، ويشع فكره، ويقيم الحجة على إتقانه ووعيه، لا سيما إذا لم يشارك خطابياً وتدريسياً لظروف معينة.. فيتعين حينئذ في حقه التأليف، وهو ضرب من ضروب الدعوة ونشر الحق.

وسوق الكتاب لاتزال راتجة هائلة هذه الأيام، بل فتُح على الناس النشر الالكتروني، الذي يحاول الإطغاء على الورقي لسهولته، وعدم تكلفته، وسرعة انتشاره المثيرة، وهذه من نعم الله علينا وعلى الناس.

وينبغي استثمار مثل ذلك الفتح، لاسيما لمن ضُيّق عليه، وحوصر تدرسياً وطباعياً، والله المستعان وعليه التكلان...

## (8) الطمع المتزايد :

قال تعالى : **(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة :16)**

يصبح العالم الفسيح مع مزاهر العلم وأنوار الحكمة، شغوفاً بذلك لا يكاد يمل أو يشبع، كالمنهوم واللاهث، فيسأل الله المزيد من فضله، والفتح من بركاته، والفيض من رحماته، لأنه في علاء إيماني، وتجديد روحي، وسعادة روحية مشرقة، **والذي يدعوه الى الطمع المتزايد، والجمع الفائض أمور منها :**

1) **سعة فضل الله، وطيب رحمته التي لا يستغنى عنها** عبد، فضلاً عن عالم مخبت، أو صالح زاهد.!

2) **حلاوته ولذته الآسرة، التي تحمل صاحبه** على طلب الاتساع، والرغبة في التحصيل، وأنه مرد ذلك إلى المولى الكريم **(وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا) (النحل:18).**

3) **التهاب الهمة المكتسبة من جراء معالي العلم**، ومنائر البسطة التي تربي في صاحبها حب المزيد، وملء الوقت بالجد والاجتهاد، ودوام التعلم، كما هو الملاحظ في سير أئمة الإسلام، لايزالون يتعلمون في الصغر، ومع الكبَر، وعلى سرير المرض،وعند الموت، ويجسد ذلك مقولة الإمام أحمد السالفة الذكر، **(مع المحبرة إلى المقبرة).**

والمعنى أن لا يوجد حد للإمامة والمشيخة، أو سن يبيت فيه المرء معلماً لا متعلماً! وهذا هو فقه الطلب، وسر العلم، أن يدرك الانسان أن لا حدّ للعلم، ولا عمر له، ولا يمكن الإحاطة أو الاحساس بالامتلاء، بل الشعور دائماً بالنقص والحاجة الأكيده للتعلم والفقه. كما قال تعالى : **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه : 114).**

وقال تعالى : **(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)(البقرة : 197).**

ومن أجل انواع التزود، العلم الموصل إلى الله، والمورث للمراقبة والخشية، وهو طريق بإذن إلى التقوى الحقيقية، والقربة الرقيقة.

وهذا مقصد حكيم للشارع أن يظل العالم ملتمساً للعلم، محباً له، حريصاً عليه، لأن الحياة وسيعة والأحداث كثيرة، والفتن خطافة، والنوازل متوالية، والعلم غزير، ولا يمكن التكيف مع ذلك إلا باستمرار التزود، والشغف الطامع، لأنه حياة أخرى، وعزة للاسلام، وهيبة للعلم، وتحقيق للأمر الرباني.

## (9) الشكران المتوالي :

قال تعالى :( **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**)(سبأ :13).

وهذه علامة بارزه على العالم الصالح، والفقيه المخلص، فخيره دائماً ذكاراً، وشكاراً مدركاً لنعم الله عليه، وما أسبغ عليه من لطائف رحماته ونفائس بركاته.

لأن العلم نعمه إلهبة، ومنحة ربانية، خص الله بها أنبياءه وأولياءه الصالحين كما قال: **(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)**(النساء:113).

وقال : **(وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ) (يوسف: 68)**

وقال : **(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً)(القصص: 14).**

والعلماء ورثة الأنبياء، جعلهم الله تعالى معالمَ لهم، وحملة لمشاعلهم، وورثة يقتدون بهديهم، ويحملون تراثهم.

ومن يستطعم هذه النعمة الجليلة، لا يزال لسانه طيباً ذاكراً، وشاكراً للمنعم المجيد، ولي الفضل ذي المن والكرم.**(وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم:34).**

وشكر العالم وغيره، يكون باللسان والفوآد والجوارح ..

كما **قال الشاعر :**

**أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً          يدي ولساني والضميرَ المحجبا**

والعالم يشكر بأوراده، وعباداته ويشكر بدروسه وتعليمه وبدعوته وجده وفقهه.

وقال تعالى عن نوح عليه السلام **(إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً)** (الاسراء: **3).**

وقال : **(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا)** (سبأ **:13).**

فالشكر قول واعتقاد وعمل، نسأل الله أن يبلغنا شكره، وحسن عبادته..

**وعلم نبينا صلى الله عليه وسلم معاذاً إمام العلماء، أن يقول دبر كل الصلاة (اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).**

ولا يزال المؤمن مسبوغاً بنعمة الله، ما أكثر شكره، وأدام ذكرَه، لأن الشكر سر بقاء النعم، وديمومتها، ولا أجل وأعظم من نعمة العلم، التي تشرح الفوآد، وتعز النفس وتكسب الهيبة، وتصنع المجد والبطولة. **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)** (الزمر: **9).**

وقال تعالى: **(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا)** (الأعراف : **176).**

فهي محل للرفعة، وموطن للرقي والعلاء..

**بعد توفيق الله وامتنانه.**

**(10) استيعاب المخالف :**

قال تعالى :**(أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ)** (غافر: 28)

لا يمكن لمتسع الجَنان علماً وفقهاً واطلاعاً، أن تضيق روحه بمسألة خلافية أو نقاش معترض، أو جدال خصم !!

لأن العلم رحم بين أهله، والحق ضالة الجميع، ولا يملكه الا من وفقه الله، وألهمه طريقه، لأن كل العلماء، يدعون الحق، وينصرون وما يذهبون إليه بالحجة والبرهان حسب اعتقادهم.

ولكن هذه الحجج تختلف من عالم لآخر، ويشوب بعضها الضعف أو هوان الدلالة، أو النسخ أو عدم السداد والموضوعية !!

ولذلك لابد من عرضها على معايير التصحيح والتحقيق، بنظرة حيادية منصفة، تنتهج قوله تعالى : **(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا)** (الأنعام : 152).

وتتمسك بقوله تعالى **(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى )**(المائدة : 8).

وإنما يستوعب العالم التحرير المخالف، ولو فجَّ لسانه، ونأى بيانه، بفضل السعة العلمية، والنباهة، التي أورثها العلم إياه وحرصه على التعليم والتعلم والاستفادة.

ولذلك أُمرنا بالحوار ومجادلة الذين لا يفقهون، وإقامة الحجج عليهم كما قال تعالى: **(وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** (النحل : 125).

وقوله تعالى : **(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا)** (هود : 32).

وقوله سبحانه : **(وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (العنكبوت : 46).**

**وقوله : (جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) (التحريم : 9).**

**وقوله : (وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان : 52).**

والمجادلة هنا إحساس بمسئولية العلم وبيان الحق، وحرص على إصابة الطريق، وهو دليل السعة والانبساط، ومتانة الفكر، لأن الضيق والعجرفة، ونبذ الخصوم، دليل الضعف، والهزيمة النفسية والفكرية.

وأما الاستيعاب للمخالفين، ونقاقشهم ونقدهم، فهو آية الشجاعة والقوة، والبلوغ البرهاني.

## (11) السعة العقلية :

قال تعالى : **(قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) (يونس: 101).**

من أثمن ثمرات العلم والاطلاع الواسع، سعة العقل وانبساط أفيائه، إلى درجة الوعي والذكاء، وحسن العرض، والنقد، والتعاطي.

ولا يزال عباقرة القراءة ينصون على أن أهم مقاصد القراءة هي (توسيع دائرة الفهم)، وجعل الفكر فضاء فسيحاً، لا يضيق بالعلم والمخالفة والنقد والتعقيب، والمصارحة والنقاش.

ومن لم تورثه القراءة الوسيعة سعة العقل، وامتداد الفكر، والمرونة الذهنية فلم يرتقِ ولم ينهض، وسيظل جامداً منغلقاً طيلة حياته، وسينعكس ذلك بالسلبية على أقواله وكتبه ومحاضراته !!

إن نورانية العلم تضخ في مساحة العقل، لتجعل منه حدائق ممتدة، وجنانً طويلة بعيدة، تستوعب كل قضية، وتحسن التعامل مع كل موقف.

**<u>وهذه السعة العقلية فوائدها مايلي</u> :**

**1) استيعاب المخالف، علمياً، وفكرياً، ومنهجياً، والأخذ والرد معه، والكر والفر.**

**2) حسن تناول الموضوعات وجودة عرضها.**

**3) تحليل القضايا، وفك رموزها وأغلالها.**

**4) فهم الحق، وطرق الوصول إليه.**

**5) تجاوز تعقيدات التعصب والغرور والاستبداد، والانفتاح على الجميع علماً واستدلالاً، وحسن تقرير واستنتاج.**

**6) القدرة على المناظرة الشرعية والفكرية، وكبح جماح العقلانيين، والعصرانيين الذين لديهم مشكلات مع النص الشرعي والتراث عموماً.**

**7) حسن استعمال النصوص الشرعية، وتوظيفها في العلم والبحث والدعوة والاستدلال.**

**8) حيازة الحكمة، وتقلد زمامها، بحيث ترى ملامحها على كلماته وأقواله ومواقفه.**

وغير ذلك من الفوائد ، التي ينعم بها واسعو الاطلاع، والأعلام التي الناخزون للكتب، الباقرون لكنوزها ومعادنها النفيسة.

وإلا فما قيمه الانبساط العلمي حينئذ وكثرة القراءة، وجرد الكتب، وتأسيس المكتبات الممتدة، إذا كان صاحبها لا يزال محدوداً وضيقاً، ولا يريد فتح أمداء عقله، والنهوض بميادين فكرة وتأمله.

إن عملية التدبر القرآنية، طريق عجيب للسعة العقلية، وباستمرائها واستلذاذها وتكثيف نشاطها، بحيث يبيت القارئ المطلع، على درجة كبيرة من الوعي والمرونة والانبساط العقلي، الذي حُرِمه كثير من الناس، والله الموفق.

**(12) تجاوز العوائق :**

قال تعالى: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) (الطلاق: 2-3)**

والمراد هنا أن لسعة علمه الوفير، لا يقف أمامه عائق، ويتجاوز كل معضلهُ، بفضل توفيق الله له، وما أمده من علم وفقه، وبصيرة ، وهذا العائق إن كان علمياً تجاوزه برسوخه، وقوة كتبه ودقته، وإن كان ابتلائياً تجاوزه بالصبر والاحتساب، وحسن المواجهة، بحيث لا يبيع دينه، ولا يهتك ستر نفسه، ولا يعرضها للبلاء الغاشم، بل يراعي الأمور ويبينها على هدى من الله وبصيرة.

ولا يزال الله يحفظ عباده، ويحرسهم بكلاءته ورعايته، كما قال سبحانه **(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل : 128).**

**وقال : (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة : 249).**

**وقال عز وجل : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) (غافر : 51).**

وكذلك حين الابتلاء الشديد، يقرأ الموقف المزمع صنعه، من جميع الجهات فلا يضر بالدعوة، ولا يسهم في القضاء عليها.. بل ينتهج الحكمة، ويسأل الله الفتح، ويسير سيرة الأنبياء المصلحين : **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (الأنعام :90).**

وقال عز وجل **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب : 21).**

**وإنما تجاوز الأعلام والعوائق بفضل ما يحملون من علم الله وشرعه، وصدقهم فيه، وتنويره لبصائرهم، بحيث لا يكادون يزلون أو يغالطون.**

**كما قال في الحديث القدسي :**

**(فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه).**

**وقد حفظ عن الإمامين المهديين أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله قولهما..**

**(إذا لم يكن أولياء لله، فليس لله ولي) !!.**

ومن العوائق، الفتن الملتبسة التي لا يعرفها أكثر الناس، وإنما يمهرها العلماء الراسخون، والمتصلون بالله، والفائضة قلوبهم خشية وإنابة لله رب العالمين.

وإنما يهتدون إليها، لحسن صلتهم بالله تعالى، واستدامه تعلمهم، وطول باعهم في الفقه والخير والمعرفة، وهم من يُعبَّر بهم **(الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)**

ولا ارتباب أنه من أسباب الرسوخ ومعالمه، البسطة العلمية، والسعة المعرفية، والله يؤتي فضله من يشاء، ويسبغ رحمته على من يريد من عباده.

**(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا) (فاطر : 2).**

**(13) الثقة الإيمانية :**

قال تعالى : **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) (الأحزاب : 22).**

لأن الإيمان يزيد بالطاعات، ويتوهج بالقربات، وأجل قربة تزيده وتضاعف من يقينه طلب العلم الشرعي والاستزاده الطاغية منه.

**وكما قال سفيان الثوري رحمه الله (ما عبدا لله بأفضل من العلم).**

ومن أسرار العلم والقراءة، احتواؤها على كثير من الخبرات، وأن نفعه متعدٍ يتجاوز الذات والمكان والزمان، ولذلك سعى فيه العقلاء، وطلبة المسارعون (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (الطففين 26).

ولذلك يرسخ الإيمان ويثبت بأدنى شعلة من العلم، فكيف بالذي يجعلها مشاعل بل أنواراً ومفاتيح سارية في جسده، تحييه وتباركه، إلى أن يقع على حقائق إيمانية، ترسخه الجبال، وتبلغه مقام الدور العالية، والأنهار الجارية.

**وهذه الثقة الإيمانية هي ما يمكن أن نسميها (الاطمئنان القلبي) الذي لا تهزه العواصف، ولا ترهبه التحديات والمخاوف.**

**وفوائدها كالتالي :**

1) **استيقان مجيئ الوعد الإلهي، بظهور هذه الأمة، وأن العاقبة لها، مهما اشتد الوهن، وتفاقمت المأساه.**

2) **الحيوية في العلم، وعدم اليأس والكلل، استناداً لقوله تعالى (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) (البقرة : 62).**

3) **الشعور بالسعادة والحياة الطيبة، الدافعة للتدريس، والتربية، وصناعة المؤلفات.**

4) **وعي وضعية الأمة، وضخامة ما يُخطَّط لها من مكائد ورزايا (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (البقرة : 217).**

5) **تثبيت العامة على الإيمان والصبر، وضرورة العمل للدين، وأن النصر** قادم، والبشرى دانية **(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ)(يوسف: 111).**

**وكم لله من عسر ويسرٍ .: وكم لله من فرج قريبِ ؟!**

**(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً) (القصص:80).**

6) **الاحساس بالشجاعة، وقوة القلب والروح، بحيث لا يخاف، ولا يضعف ولا ينهزم (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا) (آل عمران:146).**

وهذه خصلة يحوزها العلماء، الثقة بما عندهم من الخير والعلم، واستيقان موعود الله ونصره، وفرجه وفتحه، لا سيما الراسخون، المتعمقون منهم، وتفوت الجهلة، والعامة، ومحدودي العلم والفكر.

**تم الكلام على منائر البسطة العلمية، التي هي مأمول كل محب للعلم، سائلاً المولى الكريم أن يبلغنا رضاه، وأن يمنحنا من فضله ورحمته إنه جواد كريم..**

**وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه..**